بسم الله الرحمن الرحيم

السَّرد في كتاب "التِّيجَان"
الآليات والوظائف

تأليف

أ. د. معجب بن سعيد العدواني

قسم اللغة العربية وآدابها – كلية الآداب – جامعة الملك سعود

دار جامعة الملك سعود للنشر
KING SAUD UNIVERSITY PRESS

ص.ب ٦٨٩٥٣ - الرياض ١١٥٣٧ المملكة العربية السعودية

ح) دار جامعة الملك سعود للنشر، ١٤٤١هـ (٢٠٢٠م)

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

العدواني، معجب.

السَّرد في كتاب "التِّيجَان": الآليات والوظائف / معجب العدواني - الرياض، ١٤٤١هـ.

١٨٦ ص؛ ١٧سم × ٢٤ سم

ردمك: ٤ - ٧٩٣ - ٥٠٧ - ٦٠٣ - ٩٧٨

١- الأدب العربي - نقد أ. العنوان

ديوي ٨١٠,٩ ١٤٤١/١٣٧٦

رقم الإيداع: ١٤٤١/١٣٧٦

ردمك: ٤ - ٧٩٣ - ٥٠٧ - ٦٠٣ - ٩٧٨

هذا كتاب مؤلف صادر عن عمادة البحث العلمي بالجامعة ضمن سلسلة كتب برنامج (دعم تأليف كتاب) وتم تحكيمه من قبل لجنة المطابقة بعمادة البحث العلمي وموافقة اللجنة الإشرافية للبرنامج على نشره في اجتماعها الثاني للعام الدراسي ١٤٣٧/١٤٣٨هـ المعقود بتاريخ ٢/ ٢/ ١٤٣٨هـ الموافق ٢/ ١١/ ٢٠١٦م.

جميع حقوق النشر محفوظة. لا يسمح بإعادة نشر أي جزء من الكتاب بأي شكل وبأي وسيلة سواء كانت إلكترونية أو آلية بما في ذلك التصوير والتسجيل أو الإدخال في أي نظام حفظ معلومات أو استعادتها بدون الحصول على موافقة كتابية من دار جامعة الملك سعود للنشر.

دار جامعة الملك سعود للنشر
KING SAUD UNIVERSITY PRESS

مقدمة المؤلف

يحفل الموروث الشعبي في الثقافة العربية بثراء لا يحدّ، اكتسبه نتيجة عوامل منها: التاريخ الضارب في عتاقته، والموقع الجغرافي المتميز، وتداخل أنواع من الثقافات السائدة والبائدة، إلى جانب ارتهانه إلى منظومة من الأديان المتعددة؛ فكان هذا الموروث عامل إثراء معرفي للإبداع العربي على امتداد العصور، وقد أسهم في إنتاج فنون إبداعية لا تحصى، ظلت في طابعها الشفاهي البراق أزمنة طويلة، ويعدّ كتاب "التِّيجان في ملوك حمير" لوَهْبِ بن مُنَبِّه، من أهم الكتب التي حملت هذا اللون من الثراء المعرفي ونقلته إلينا. ويضم الكتاب عددًا كبيرًا من المرويّات التي يمكن إدراجها في نوعين رئيسين، هما: الحكايات السيرية لعدد من الأنبياء، وملوك اليمن وفرسانها، وعدد أقل من الحكايات القصيرة، وتناقلته الأفواه من جيل إلى جيل، حتى وصل إلينا مطبوعًا.

ولما كان الكتاب مثل غيره من كتب السّرد القديم، يقف متهمًا أمام الثقافة الرسمية، التي أشاحت النظر عنه، بوصفه شكلًا مهمشًا من أشكال الثقافة، يروج الكذب ويميل إلى التلفيق، فإن الحاجة إلى مراجعة هذا الكتاب وغيره، بصورة علمية ومحايدة أضحت ماسّة، على أن تتناول هذه الدراسات الجوانب الفنية فيها، دون النظر إلى صدق الأحداث أو كذبها، ولو وجِّهت الدراسات النقدية العربية المتخصصة إلى هذا الاتجاه لخرجت بمزيد من الأطروحات التي ستغير المنظور العام تجاه الآداب الشعبية العربية.

وأحسب أن كتاب "التِّيجان" أحد أبرز الكتب التي مثلت بدايات تجسيد القصّ الشعبي في الثقافة العربية؛ إذ حمل إلينا بدايات تشكل السيرة الشعبية العربية، وكانت عنوان مرحلة الاستهلال لها، لذلك كانت دراسة الكتاب ومحاولة فهمه، في ضوء المناهج النقدية الحديثة، خطوة أولية لمعرفة

سمات بدايات التشكل للوعي السّردي العربي، المتصل بالثقافة الشفاهية الشعبية، فكما كان الكتاب تمثيلًا لمرحلة تاريخية مهمة في موقعه، فهو يمثل مرحلة فنية لا تقل أهمية في صياغات السّرد الشعبي، وتحولات أنواعه، ولذلك فإن دراسته ستسهم في الكشف عن أبعاد أكثر أهمية؛ تتصل بالأنواع السّردية القديمة وتحولاتها، وبالبنيات الحكائية فيه، وبالسياقات الثقافية له.

كان أن اطلعت على "التِّيجان" منذ زمن، ووجدته يحمل بعض ملامح الالتقاء مع كتاب ينتمي إلى الحقل نفسه، وهو الكتاب العربي الشهير "ألف ليلة وليلة"؛ إذ يتقاطعان، ليس في حكاياتهما المتنوعة فحسب، بل في موقع تلقيهما، وتهميشهما في الثقافة العربية القديمة؛ وعدّهما من الكتب غير المجدية. ويكمن الفرق بين تلقي الكتابين، في أن اهتمام الغرب بـ"ألف ليلة وليلة" نقلًا، ومراجعة، وتحقيقًا، قد بدأ قبل الاهتمام به عربيًّا، وانعكس ذلك على تنامي تلقيه في بيئته الأولى، بينما بقي كتاب "التِّيجان" مهملًا؛ في انتظار تقديمه بصورة مختلفة، تتباعد عن النظرة الكلاسيكية السائدة، إلى السّرد العربي القديم. تلك النظرة التي أجلت التفاعل مع هذا الكتاب وغيره، وآن أن يعاد النظر إليها في ضوء المنجزات المنهجية الحديثة التي تساعد على قراءة النصوص، ونقدها بالصورة العلمية المتوخاة.

تقوم فرضية هذه الدراسة على ادعاء أنه لا تصح نسبة كتاب "التِّيجان" إلى حقلي التاريخ أو التفسير أو غيرهما من الحقول المعروفة، وعلى ضرورة النظر إليه بوصفه كتابًا إبداعيًا في القصّ، مادته التخييل، وقوامه التأويل. وإذا كان النقاد قد حددوا جماليَّات الفن الشعري بتركيبه، لا بموضوعه، فإن كتاب "التِّيجان" فن ببنائه السّردي، من المتوقع أن يكون عدد من القراء مؤمنين بهذا الادعاء، بينما تميل فئة إلى الشكّ في إبداعه، ويجنح آخرون إلى إنكار جماليَّاته؛ ولهذا تحاول الدراسة أن تكون موجهة إلى جميع هؤلاء؛ مستعينة بتقديم أدلة من الكتاب نفسه؛ من تصنيفه لتبرهن على انتمائه، ومن بنائه السّردي لتحدد قوانينه الفنية، وهي أدلة أراها كافية للاستئناس بها لدى القارئ العارف بذلك، والاقتناع بصحة ما نفترضه عند القارئ الذي أحاطت دائرة الشكّ به، والقبول بما نراه لدى من غلب عليه الإنكار، وذلك بقصد التحرر من الاستجابة لسلطة ما ورثناه نقديًّا وثقافيًّا عنه، والنفاذ من أصوات المقللين منه؛ لأن بخس الكتاب حقه، وعدم إنزاله في منزلته اللائقة، ناتج عن عدم التفاعل معه، وعائد إلى التأثر الخادع بسلطة تلقي القصّ العربي الموروث.

إن الهدف العام لهذه الدراسة هو الوصول إلى تحديد منهجي علمي، يُعرف به أصل كتاب "التِّيجان"، والنوع الذي ينتمي إليه، وآلياته الداخلية التي تتحكم في إنتاج حكاياته. ولن يتحقق هذا

الهدف إلا باستخراج القوانين السّردية، التي تحكَّم راوي الكتاب فيها، وبثّها في مرويّاته، ولذلك كانت محاولة الكشف عن جماليَّات الكتاب باستخراج قوانينه العامة مطلبًا للدراسة، وخطوة أولية في تحديد سماته، وإبراز ما يضمّه من التقنيات السّردية المحفزة، والوظائف المتصلة بمصادر التناص فيه.

اقتصرت مراجعات كتاب "التِّيجان" على آراء متنوعة، وشظايا نقدية، لم تسهم في منحه ما يستحق من البحث والتمحيص؛ ولهذا جاءت هذه الدراسة المرسومة بـ "السَّرد في كتاب "التِّيجَان": الآليات والوظائف"، لتكون الدراسة الأولى، حسب علمي، التي تخصص له في هذا السياق، معتمدة على استثمار مناهج حديثة، في درس حكايات الكتاب وتحليلها، بوصفها الخطوة الأولى في طريق طويل، راجيًا أن يجد القارئ فيها ما يضيف إليه، وأن تكون عونًا لباحثين آخرين، يستكملون هذا الدرب الشاق والممتع معًا في آن، وينيرون في جنباته مشاعل المعرفة.

تشتمل هذه الدراسة على تمهيد وثلاثة فصول وخاتمة ، تحاول فيها أن تقدم تحليلًا نقديًا حياديًا عن الكتاب ومؤلفه، وأن تضعه في سياقه المعرفي، دون إفراط أو تفريط؛ إذ حاول الباحث أن يقع في موقع الحياد والنزاهة؛ فلا ميل إلى المبالغة والغلو في تبيان قيمته، ولا سعي إلى هضم حق الكتاب، أو الانتقاص من مؤلفه؛ ولذلك جاء عنوان التمهيد "انتماءات وَهْب بن مُنَبِّه"، ويضم هذا التمهيد خمسة مباحث، أربعة منها تتناول انتماءات ابن مُنَبِّه، التي تمكن من الاطلاع على سياقات سيرته، كونه المؤلف الذي نُسب إليه الكتاب، أو الراوي الذي نَقل مرويّات كثيرة فيه، وتشتمل على الانتماء العِرقي، والانتماء الديني، والانتماء الوظيفي، والانتماء المعرفي، ويهدف هذا التمهيد إلى فحص موقع ابن مُنَبِّه في الثقافة العربية، والإجابة عن أسئلة تصل إلى إنكار وجوده، وعرض المبحث الأخير في هذا التمهيد ما يتصل بمواقف بعض العلماء من منجزه بصورة عامة.

أما الفصل الأول الذي بعنوان "أبعاد كتاب التِّيجان"، فيصف كتاب "التِّيجان في ملوك حمير" في أبعاد وروده مرويّا ثم مطبوعًا، ويتناول، بعد ذلك، مستويات تلقيه النقدي إيجابًا وسلبًا، ويعرض بعد ذلك التصنيف الأجناسي؛ بتحديد تصنيف حكايات الكتاب، والتعرف على النوع السّردي الذي تنتمي إليه.

يتناول الفصل الثاني الآليات السّردية المحفزة، بالوصف والتحليل؛ وذلك بدراسة ست تقنيات سردية متواترة في الكتاب، إذ تتكرر في التشكيل البنائي لحكاياته وسيره، لكونها من الأسس المهمة في البناء السّردي الشفاهي فيه، وهي: تعدد الرواة، والتدرج السّردي، والتعليل، واللغز

السّردي، والرؤيا السّردية، وأسطرة البدايات. وتهدف دراسة الآليات السابقة إلى التعرف على حركة السّرد في الكتاب، وتناميها في حكاياته.

يهتم الفصل الثالث من الدراسة بوظائف مصادر التناص في "التِّيجان"، وذلك بدراسة علاقات توظيف النصوص المتداخلة مع حكايات الكتاب وسيره، واعتمد هذا الفصل على أربعة مصادر رئيسة، وهي: القرآن الكريم والحديث الشريف، الشعر، الوصايا وكتابات المدافن، الخطابة. ثم نصل إلى خاتمة الدراسة التي تضم النتائج التطبيقية، التي تركز على نتائج المباحث العشرة السابقة الذكر وصفًا وتحليلًا وتعليلًا، إلى جانب نتائج الفصل الأول التي حاولت إنصاف المؤلف، وإنزاله منزلته التي له أن يتبوأها، والكشف عن الحقل الذي تنتمي إليه حكايات كتاب "التِّيجان" وسيره.

استغرقت هذه الدراسة زمنًا واجه الباحث في أثنائه مشكلتين اثنتين؛ تتصل الأولى منهما بندرة البحوث العلمية المتخصصة التي تتناول كتاب "التِّيجان" وتحلله، مع ملاحظة وجود بعض الآراء النقدية المترامية في بعض الموسوعات المتخصصة، أو في بعض البحوث في الدوريات العلمية، وهي جهود مقدرة، لكنها تنطوي على بعدين كبيرين، هما: البعد الذي كان موجهًا إلى ابن مُنَبِّه نفسه، دون تفسير إنتاجه، والبعد الذي تناول موروثه، فأضحى الكتاب في منطقة مهملة، وغير متداولة معرفيًا؛ لذلك كان هدف هذه الدراسة التركيز على ذلك في مباحث الفصل الأول، بوصفها إضافات معرفية، وموئل ما يمكن تسميته علميًا بـ (الدراسات السابقة)، دون أن يؤثر ذلك على الهدف الأول للدراسة الذي يعد بالتركيز على الكتاب دون مؤلفه، وهو ما يرد في فصولها الثلاثة، مفعّلة دور الراوي لا المؤلف، وجانحة إلى تحليل المرويّات الواردة فيه.

أما المشكلة الأخرى فأراها قائمة في طبعتي الكتاب، فمع أن الباحث استقر على دراسة الطبعة اليمنية، وهي الأحدث والأنسب قياسًا بنظيرتها الهندية، إلا أن هذه الطبعة لم تكن محققة بالصورة المطلوبة، وكان ينقصها بعض الجهد، لتصبح مناسبة للبحث، ولذا تبدو الحاجة ماسة إلى طبعة محققة علميًا، تعتمد على الطبعتين الهندية واليمنية، وتعود إلى النسختين الموجودتين للكتاب في أوروبا؛ وهما نسخة (هايدلبرغ) في ألمانيا، ونسخة مكتبة المتحف البريطاني في لندن.

ونتيجة للاقتصار على هذه الطبعة المتوافرة والاكتفاء بها، فقد كنا أمام خيارين: أحدهما أن نترك النص المقتبس كما هو دون تغيير، كما ينبغي في الدراسات العلمية، أو أن نخرجه بصورة أكثر جودة، لكن مشكلات النص المتصلة بالتحقيق، دعتنا إلى اللجوء إلى خيار آخر، يتجلى في أن يكون

جهد الاقتباس، في هذه الدراسة، مقرونًا بجهد المقلّ في المطابقة والتحقيق، وكان ذلك تحديدًا في محاولة إخراج النص المقتبس بالصورة الملائمة كتابيًا، ليكون حضور الاقتباس دالًا ومفيدًا، ومناسبًا لعلمية الدراسة، لكن هذا التحقيق الجزئي البسيط لما أُقتبس من الكتاب ظل متدرجًا بين خمس خطوات التزمنا بها، ومثلها آثرنا إهمالها، وكانت الخطوات التي أثبتتها الدراسة وأخذت بها، رغبة في تحقيق ما ورد من اقتباسات متعددة، كما يأتي:

- كتابة الآيات القرآنية الواردة في الاقتباس بالرسم العثماني، ووضع الأقواس الملائمة، وتحديد موقعها في سور القرآن في حواشي الدراسة. وذلك ما تفتقده طبعة "التِّيجان" التي اعتمد الباحث عليها.
- تخريج الأحاديث النبوية الواردة في الاقتباس، وتحديد مظانها في كتب التراث، وإثبات ذلك في حواشي الدراسة.
- كتابة همزات القطع في كل اقتباس، فكلتا الطبعتين تجاهلتا رسم الهمزات، ولذلك كانت الحاجة ماسة إلى إيراد تلك الهمزات وإثباتها.
- وضع علامات الترقيم في الاقتباسات التي ضمتها الدراسة، وذلك لإيضاح المعنى؛ إذ كانت علامات الترقيم نادرة وشحيحة.
- تصحيح الأخطاء النحوية والإملائية في كل اقتباس ورد في الدراسة؛ فقد كان من الصعوبة أن يرد اقتباس، في صورته الأولى، دون تصحيح.

أما الخطوات الخمس المهملة، التي آثرت الدراسة تجاوزها في ذلك النقل، مع الإيمان بأهميتها في تحقيق بعض نصوص الكتاب، فاكتفت منها بما ورد رسمه في الكتاب؛ وذلك على النحو الآتي:

- كتابة تنوين ألف النصب؛ كان على الدراسة تجاوز رسم التنوين، في كل اقتباس من الكتاب، والاكتفاء بها كما وردت، إيمانًا بأن كتابة ألف النصب كما يرد في رسمها، قد استوفى أداء المعنى بالصورة المطلوبة.
- غياب الإشارات إلى معاني المفردات الصعبة، وعدم شرحها؛ لأن ذلك سيجعل الدراسة متجهة إلى تحقيق كتاب "التِّيجان"، ومنصبّة في هذا الجانب، وهذا ما لم يكن هدفًا، أو غاية لها.

- الابتعاد عن تحديد مواقع الأماكن جغرافيًا؛ اجتازت الدراسة قواعد التحقيق التي تركز على التحديد الجغرافي لمواقع واردة في الكتب المحققة؛ ويعود ذلك لأن الدرس هنا قد اختار التناول التحليلي للبعد الإبداعي في كتاب "التِّيجان"، ولن يتجه إلى مراعاة التوثيق لحقيقة أو واقع.
- راعت الدراسة عدم الإشارة إلى مناسبات الآيات، وأسباب نزولها، اكتفاء بالاشتغال على وظائفها النصية في الحكايات الواردة في "التِّيجان"، وهي الوظائف التي تقدم إضافات إلى سرديته.
- تجاهلت الدراسة كل ما يتصل بتتبع البعد التاريخي، في أحداثه، وشخصياته، ونظرت إلى الكتاب بوصفه سردًا قد يستلهم التاريخ، ولكنه لا يشكل وثائق يمكن الاستناد إليها.

مع ملاحظة أن هذا العمل قد احتاج إلى وقت وتصحيح ساعدا في إخراج الاقتباسات بالصورة المثبتة في الدراسة، ليسهما في تحديد فهم كل اقتباس وارد من "التِّيجان"، وإبراز دلالاته المتوخاة، ومن ثم كان الانتقال إلى التركيز على التحليل الفني للنصوص السّردية أبنية ووظائف، عوضًا عن الانشغال بتصحيح ما فيها.

وأخيرًا، أود أن أشكر كل الأصدقاء الذين قدموا رؤاهم المفيدة حول الدراسة، ووجهات نظرهم المثمرة عنها، فقد كان لذلك أكبر الأثر في إخراج هذا العمل إلى القارئ، كما أود أن أشكر عمادة البحث العلمي بجامعة الملك سعود التي دعمت هذا العمل، ويسرت سبيل خروجه إلى النشر.

منهج الدراسة

لم يحظ كتاب "التِّيجان" بدراسات مستقلة قديمة أو حديثة، فقد كان تركيز الدارسين القدامى منصبًا على تقديم شظايا رؤاهم عن الكتاب، ووجهات نظرهم حول راويه وبعض مرويّاته، ومال معظم الدارسين العرب المحدثين كسابقيهم إلى هذا الاتجاه الجزئي في التناول، ولذا سيتناول الباحث تلك الآراء المتباينة في التمهيد والفصل الأول، برؤية نأمل أن تكون أكثر عمقًا، ولتهدف إلى بيان البيئة الثقافية التي ظهر فيها الكتاب، وهي البيئة التي أسهمت في تأخير صدوره، وسلبية تداوله لدى القارئ العربي؛ ولذلك كان إلقاء الضوء على كتاب "التِّيجان" بتوظيف منهج حديث خطوة تبدو جديدة وفاعلة؛ إذ لم يسبق الاطلاع على دراسة سابقة مستقلة تناولت تحليل الكتاب وتأويله من منظور نقدي حديث.

تحاول مباحث التمهيد والفصل الأول كشف سياقات الكتاب وأبعاد تلقيه في الثقافة العربية، وذلك بتوظيف منهج استقرائي، يتتبع معظم ما يتناول سيرة ابن مُنَبِّه، وتلقي تراثه، ومواقف العلماء من كتاب "التِّيجان"، على أن يكون ذلك الاستقراء خاضعًا للتحليل النقدي، مدعمًا برؤية نقدية فاحصة حول تلك الآراء.

إن اختيار مناهج تحليل فن السّرد لقراءة حكايات الكتاب وسيره، وكشف مكنوناته، سيساعد في تفعيل مبدأ الحيادية في تناول الدراسة، انطلاقًا من مقاربة نقدية، تتوسل الإجابة عن أسئلة قد تكون مهمة في هذا العمل، ومنها: ما التصنيف الذي يمكن أن ينتمي إليه كتاب "التِّيجان"؟ وكيف يتحقق ذلك؟ وفي الإجابة عن هذا سيكون المنهج استقرائيًا يتتبع سمات الأدب الشعبي بأجناسه المختلفة، وملاحظة توافقها أو اختلافها عن سرد الكتاب موضوع الدراسة.

وتعقب ذلك محاولة الإجابة عن أسئلة أخرى ترمي إلى الكشف عن الآليات السّردية المحفزة التي تتواتر في حكايات كتاب "التِّيجان"، واعتمدها راوي الكتاب بثبات في مرويّاته، ثم بيان وظائف مصادر التناص التي استحضرها، وهي وظائف تتغير باختلاف النصوص التي تتقاطع معها بتواتر.

يتناول الفصل الثاني من هذه الدراسة الآليات السّردية المحفزة في كتاب "التِّيجان"، ومنها: تعدد الساردين، والتدرج السّردي، والتعليل، واللغز، والرؤيا السّردية، وأسطرة البدايات، وهي آليات تشكل أسس أبنية السّرد في الكتاب وطرائقه، بوصفها آليات نابعة من قوالب لا غنى عنها في قانون السّرد الشفاهي، الذي جرى تفعيله في التراث السّردي العربي، لاسيما كتاب "التِّيجان".

آثر الباحث أن يكون المرتكز المنهجي للفصل السابق مستمدًا من منجزات التحليل السّردي الحديثة؛ ومنها الدراسات الشكلانية للسرد، المنبثقة من الجهود الكبيرة التي أنجزها الباحثان الروسيان (فيكتور شكلوفسكي) في "بناء القصّة القصّيرة"،(١) الذي اقترح التحفيز في أنساق تتصل بالتدرج والتوازي والتنضيد والتأطير، وهي الأنساق التي تستعمل خلال إنجاز المبنى الحكائي.(٢) ومثله (بوريس توماشفسكي) في "نظرية الأغراض"، الذي أشار إلى استحضار صورة القارئ في ذهن الكاتب، ولهذا يتزايد الاهتمام بمشاكل الثقافة العامة بعيدًا عن البناء الفني، وقسم أنواع التحفيز وفقًا للمتن والمبنى.(٣) وسيكون الاشتغال، إلى جانب ذلك، على بعض منجزات الدرس الحجاجي في تناول مبحث التعليل المتصل باللغة في الفصل الثاني.

تناولت الدراسة الآليات السابقة الذكر مفعِّلة مصطلح (المحفزات)، تشديدًا على اختلافه الجزئي عن مصطلح (الحوافز)، ذلك أن المحفزات، في هذه الدراسة، تعني طرائق بناء السّرد الشكلية الثابتة في الحكاية، التي استثمرها الراوي لتصبح قوانين سردية عامة ذات صيغة مؤثرة في إنتاج حركة السّرد وتناميها، أما الحوافز فهي وحدات بنيوية، يتصل بها تنامي السّرد، وتدل على

(١) انظر: فيكتور شكلوفسكي، "بناء القصة القصيرة والرواية"، ضمن كتاب، نظرية المنهج الشكلي: نصوص الشكلانيين الروس، ترجمة: إبراهيم الخطيب، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، ١٩٨٢م، ص ص ١٣٨-١٣٩.

(٢) السابق، ص ١٤٠.

(٣) بوريس توماشفسكي، "نظرية الأغراض" ضمن كتاب، نظرية المنهج الشكلي: نصوص الشكلانيين الروس، ترجمة: إبراهيم الخطيب، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، ١٩٨٢م، ص ص ١٧٥-٢٢٣.

ترتيب واع بهذه الوحدات، لأنها متصلة بإبداع فردي لا جمعي؛ ولذلك كان اختيار مصطلح (المحفز) للدلالة على تلك التقنيات الثابتة بنيويًا في حكايات "التِّيجان" وسيره.

ولعل نجاح أدوات التحليل وظيفيًا يكمن في استكمال الكشف عن العلاقات الكامنة بين الأبنية السّردية، والفنون الأخرى المتداخلة معها، فقد جاءت تلك الفنون، لتوظف بوصفها أبعادًا مؤكدة في الخطاب السّردي، ولذا كان سعي الفصل الثالث إلى دراسة توظيف تلك العلاقات التناصية، بتحليلها ونقدها واكتشاف ملامحها النصية، إلى جانب التعمق في الكشف عن آليات تداخل الخطابات في حكايات كتاب "التِّيجان" وسيره. ويذكر أن هذا التضمين لا يدخل في المحفزات، وفقًا لـ(شكلوفسكي) الذي أشار إلى الدراما الشعبية، في مبناها الحكائي البسيط، مستشهدًا بإدراج بعض الأشعار في كتاب "ألف ليلة وليلة"، ووفقًا له، فإنه يرى أن تلك النصوص الشعرية الموظفة لا تقود إلى تحفيز،[٤] ويبدو أن هذا الرأي كان رأيًا عامًا، وغير متواتر؛ إذ إن الدراسة أوردت من الشواهد في "التِّيجان"، في فصلها الثالث ما يمكن بها الرد عليه.

إن مراجعة تداخل الخطابات التي نقلها الراوي، واستحضرها بذكاء، من خلال آليات توظيف الخطابات الأخرى ودمجها،[٥] مثل: النص الديني ممثلًا في القرآن والحديث، والشعر العربي القديم، والخطابة، والوصايا وكتابات المدافن، سيضيف إلى الدرس النقدي وينميه، مع الإيمان بأنه لا يمكن أن نلمّ بكافة مظاهر العلاقات التناصية وملامحها في الكتاب، نظرًا لتنوعها وتعدد مصادرها، ولذا وقع الاختيار على ما يشكل ملامح وظيفية عامة ومتواترة، وسيكون الاعتماد في هذا الفصل على المنجزات العلمية التي تناولت (التناص)، بوصفه أداة إجرائية، وعلاقاته الممكنة والفاعلة، التي تتيح إمكان الكشف البنيوي والمضموني في الكتاب موضوع الدراسة.

إن الاحتكام إلى هذه المناهج يمكن أن يقدم إجابات علمية دقيقة عن الأسئلة السابقة الذكر، التي تضمنت سؤال الجنس وتحديد الآليات السّردية فيه؛ إذ يبشر بتقديم إضافة ما إلى تحديد الملامح الرئيسة لتصنيف كتاب "التِّيجان"، وتحليل المحفزات السّردية والمؤكدة فيه، وقبل ذلك

---

(٤) شكلوفسكي، ص ١٤٥.

(٥) انظر: عماد عبد اللطيف، "كيف ندرس التناص في الخطاب: إطار نظري وتطبيقات على بلاغة السياسة الدينية"، بلاغة الخطاب الديني: أعمال مهداة للكتور محمد الولي، تنسيق: محمد مشبال، منشورات ضفاف، بيروت، ٢٠١٥م، ص ص ٢٦١-٢٨٨.

استثمار هذا المنهج لتبيان طبيعة السّرد في الكتاب؛ ولا يكون ذلك إلا بتناول تلك الآليات منفردة، بتحليل كل واحدة منها بصفة مستقلة، ومن ثم النظر إليها شموليًا؛ لذلك تحاول الدراسة أن تفصل منهجيًا بين الآليات المحفزة في الكتاب من جانب، ووظائف مصادر التناص فيه من جانب آخر، في أثناء كتابة الفصلين الثاني والثالث، مع وجود بعض ملامح التداخل بين الفصلين السابقين، لذلك هناك بضعة إشارات، تبدو مهمة، لاتصالها بمصطلحات التداول المنهجية في الدراسة:

أولًا: فعّلت الدراسة مصطلح (السّرد)) مقابل (القصّ) و(الحكي)، وكان اختياره في مطلع عنوانها، وفي تناولها الداخلي، لمناسبته كتاب "التِّيجان" الذي يراوح بين الشفاهية والكتابية، ويمكن تعريفه بأنه مصطلح حديث شاع مؤخرًا توظيفه بوصفه مفهومًا نظريًا، حل محل الاستعمالات الشائعة في تصنيف الأعمال القصّصية مثل: شعر الملاحم، والدراما، والحكاية الشعبية، والرواية، والقصّة القصّيرة، وهو موروث عن رولان بارت وكلود بريمون، اللذين كانا يسعيان إلى تحرر السّرد من الأدب وفصله عنه، ولتمييزه بوصفه ظاهرة سيميائية، تتجاوز إلى الدراسات البينية ووسائل الإعلام الحديثة آنذاك،(٦) ووُصف المصطلح عربيًا بأنه: "نقل الفعل القابل للحكي من الغياب إلى الحضور، وجعله قابلًا للتداول، سواء كان هذا الفعل واقعيًا أو تخييليًا، وسواء تم التداول شفاهًا أو كتابة"،(٧) ووصفه بعض الدارسين بأنه: "الكيفية التي تروى بها القصة، وما تخضع له من مؤثرات، بعضها متعلق بالراوي والمرويّ له، وبعضها الآخر متعلق بالقصة ذاتها"،(٨) وكلا التعريفين، مع وجود بعض الفروق بينهما، يلائمان اتجاه دراسة حكايات "التِّيجان" وسيره.

وفي الوقت نفسه، غيبت الدراسة مصطلح (السارد Narrator) الشائع حاليًا في الدرس النقدي، وذلك استجابة لصيغة حكايات الكتاب المدروس، ذات الصبغة الشفاهية، إذ يعتمد الكتاب على صيغة الفعل الشفاهي (قال)، وتتردد فيه مفردة (رواية) منذ مطلعه، بينما يكون (السارد) منجزًا كتابيًا، يقع بين دفتي غلاف، ولهذا فإن الإبقاء على مصطلح (الراوي Storyteller) يلائم طبيعة الكتاب المدروس، الذي جُمع مطبوعًا في صيغ تقترب من الشفاهية، على الرغم من فقده بعض عناصر النقل

(٦) David Herman, Manfred Jahn, Marie-Laure Ryan (ed.). *Routledge Encyclopedia of Narrative Theory*, Routledge, London &New York, 2005, p. 437.

(٧) سعيد يقطين، السّرد العربي: مفاهيم وتجليات، الدار العربية للعلوم، بيروت،٢٠١٢م، ص٦١.

(٨) حميد لحمداني، بنية النص السّردي من منظور النقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط٣، ٢٠٠٠م، ص ٤٥.

الشفاهي؛ كالإشارات وتعبيرات الوجه ونبرة الصوت وغير ذلك، وذلك دال على أن مصطلح (الراوي) يتسم بأنه يتوافق مع كل المدونات الشعبية في كتب التراث السّردي عامة، مثل كتاب "ألف ليلة وليلة"، وكتب السير الشعبية العربية القديمة، التي حملت الشفاهية في تداولها، ولا يلائم الكتب السّردية المطبوعة حديثًا؛ لكونها محددة في شكلها الأدبي المكتوب، ولا يتقاطع ذلك مع مفردة (الروائي novelist) المنسوبة إليه (الرواية novel) بوصفها فنًا أدبيًا حديثًا، ينتمي إلى الثقافة الكتابية.

ثانيًا: حرصنا على اختصار عنوان الكتاب إلى "التِّيجان"[٩] عوضًا عن العنوان الأصلي "التِّيجان في ملوك حمير" اختصارًا له، وتتبعًا لما ورد عند بعض الدارسين، وتوافقًا مع اختصار صنوه كتاب "ألف ليلة وليلة" إلى "الليالي".

ثالثًا: أهملت الدراسة ذكر اسم المؤلف في الفصلين الثاني والثالث، نتيجة توظيف المناهج الشكلية التي تركز على النص الإبداعي في تقنياته ووظائفه، واستعاضت الدراسة عن ذكره بمصطلح (الراوي)، ولا علاقة لهذا الإهمال بما ورد عند بعض الدارسين، الذين شككوا في نسبة الكتاب إلى ابن مُنَبِّه، وقد وضحنا موقفنا من ذلك التشكيك في موضعه، ويتمثل هذا الموقف بتأكيد نسبة الجزء الأكبر من الكتاب إلى ابن مُنَبِّه، ونسبة بعضه إلى ابن هشام، ونسبة جزء قليل منه إلى مؤلف مجهول.

رابعًا: هناك انحياز في بُعد آخر، إلى مصطلح (المرويّات Tales)، وأهملت مصطلح (الروايات)، على الرغم من انتشاره وكثرة وروده في "التِّيجان"، إلا ما جاء منه داخل اقتباس. ومع أن مصطلح (الروايات) شائع في الثقافة الشعبية، فقد كان استبعاده هنا لالتباسه بالمصطلح الحديث (روايات) ومفردها (رواية) ذلك الفن الأدبي الحديث، ولكون هذا المصطلح يتصل بالراوي، فيما كان مصطلح (المرويّات) يتصل بالمرويّ له، ويشير إلى تفاعله المباشر والمستمر؛ نقله يتسم بالسرعة، وحضوره يستدعي تكرارًا للإنتاجية، وتسريعًا لها كما يتجلى في قانون الثقافة الشفاهية، وعلى هذا المنوال لم يرد مصطلح (رواية) إلا في موضعين قد يتكرران، وهما: الاقتباس عن الكتب القديمة، ومنه ما ورد في مطلع كتاب "التِّيجان"، أو الإحالة إلى الرواية بوصفها فنًا أدبيًا حديثًا. وكان التمييز عن هذا المصطلح باستعمال مصطلحي: النقل أو المرويّة.

---

(٩) هكذا يرد العنوان اختصارًا في معظم الأدبيات الغربية *al-Tijan*.

خامسًا: يكمن هذا الإيضاح في وصف علاقات السّرد في كتاب "التِّيجان" مع النص الديني والشعر والوصايا وكتابات المدافن والخطابة بـ (وظائف مصادر التناص Functions of intertextual sources)، للإشارة إلى أن هذا السّرد يحمل وظائفه المتنوعة، التي تعتمد على أبعاد حجاجية مضمرة، وغير مباشرة، لوجودها في خطاب قصصي شعبي، يتكئ على موروث قديم، ما يجعل التحليل ناجعًا، ويصب في رافد السعي إلى إثبات أن الكتاب يضم حكايات إبداعية تخييلية تتغيا الإمتاع إلى جانب التأثير والإقناع، ولا تهدف إلى توثيق الأحداث وتأكيدها.

سادسًا: حُدِّدت الخطاطة المنهجية للتحليل النقدي، بناء على ما سبق، في كتاب "التِّيجان" معتمدة على ما يتطلبه النقل الشفاهي من مصطلحات مناسبة له، ولذا تقترح الدراسة أن تكون الخطاطة مرسومة كالآتي:

الراوي ....المرويّة..... المرويّ له

وتبعًا لذلك فقد تباعدت الدراسة عن الخطاطة التقليدية المستقرة، والمستثمرة في التحليل النقدي للأعمال الحديثة:

الكاتب ..... السارد ..... السرد .....المتلقي

وأخيرًا، نأمل أن يكون هذا التناول المنهجي قادرًا على التعامل مع الكتاب بطريقة مختلفة، مبنية على البعد العلمي الدقيق، وأن يكون هذا العمل عونًا لباحثين آخرين، يسهمون في تقديم دعم متواصل للدراسات النقدية في كتب التراث السّردي العربي، وأخص كتاب "التِّيجان" الذي ظل أزمنة طويلة دون مراجعة أو نقد، وكان حظه مقصورًا على بعض الآراء ووجهات النظر، التي خضع أغلبها إلى أبعاد أيديولوجية شتى، هضمت حق الكتاب، وقللت من قيمته.

المحتويات

مقدمة المؤلف ..... هـ

منهج الدراسة ..... ك

التمهيد: انتماءات وَهْب بن مُنَبِّه ١

انتماء ابن مُنَبِّه العِرقي ١

انتماء ابن مُنَبِّه الديني ٦

انتماء ابن مُنَبِّه الوظيفي ٧

انتماء ابن مُنَبِّه المعرفي ١٠

مواقف العلماء من منجز ابن مُنَبِّه ١٤

الفصل الأول: أبعاد تلقي كتاب "التِّيجان" ١٩

البُعدان الشفاهي والطباعي ١٩

بُعد التلقي النقدي ٢٤

بُعد التصنيف السّردي ٣٧

الفصل الثاني: الآليّات السّردية المحفّزة في كتاب "التِّيجان" ٥٣

تقديم ٥٣

تعدد الرواة ٥٤
التدرج السّردي ٦١
التعليل ٧١
اللغز السّردي ٨٢
الرؤيا السّردية ٨٦
أسطرة البدايات ٩٣

الفصل الثالث: وظائف مصادر التناص في كتاب "التِّيجان" ١٠١
تقديم ١٠١
النص الديني (القرآن والحديث) ١٠٤
الشِّعر العربي ١٢٦
الوصايا وكتابات المدافن ١٣٩
الخطابة ١٥٢

الخاتمة ١٦١

قائمة المصادر والمراجع ١٧١
أولًا: المصادر ١٧١
ثانيًا: المراجع العربية ١٧١
ثالثًا: المراجع الأجنبية ١٧٧
رابعًا: المواقع الشبكية ١٧٨

ثبت المصطلحات ١٧٩
أولًا: عربي – إنجليزي ١٧٩
ثانيًا: إنجليزي – عربي ١٨٣